تقديم تنازلات سياسية، ما دام لا يشعر بأن وجوده مهدّد بالخطر؛ بل انه، باعتماده على احساسه بالقوة، يزداد عربدة وتطرّفاً، ويرفع شعارات عنصرية فاشية، كالدعوة الى الطرد الجماعي للفلسطينيين من وطنهم.

امّا الحقيقة الثانية، والمتعلقة بصورة العربي كعدو نموذجي، فانها تجعل رغبة الاسرائيلي في السلام ضعيفة، أو معدومة. فهو لا يرغب في التعايش مع خصم يراه شريراً ومتخلّفاً، ويمتلىء بمشاعر الاستعلاء عليه.

فالجمهور الاسرائيلي يرى نفسه جزءاً من الغرب «المتحضّر» وامتداداً له؛ وبالتالي، فهو لا يشعر بالرغبة في الانفتاح على هذا المحيط العربي، أو الاندماج فيه، او التصالح معه. امّا شكل العلاقة مع المحيط العربي، كما ترتسم في العقل الاسرائيلي، فقد عبّر عنها وزير الخارجية الاسبق، ابا ايبن، عندما قال: «ان أمل اسرائيل هو في ان تصبح الولايات المتحدة الاميركية الصغرى. نحن لا نريد ان تكون لنا علاقات مع الشرق الاوسط على غرار العلاقات القائمة بين سوريا ولبنان؛ ولكننا نريدها على غرار علاقات الولايات المتحدة الاميركية مع بلدان اميركا اللاتينية، من حيث التعامل الاقتصادي، مع ملاحظة الفوارق التاريخية، والثقافية، واللغوية. ونريد، أيضاً، المحافظة على طابعنا الغربي»[١٩].

وهكذا، نجد انه تنتفي لدى الجمهور الاسرائيلي الحاجة الى السلام، اعتماداً على قوته؛ كما تنتفي لديه الرغبة في السلام، استناداً الى تصوّره المشوّه للمحيط، واستعلائه عليه. واذا كانت الانتفاضة الفلسطينية نجحت في هزّ هذا الجمهور بقوة، فقد حرّكت في داخله الركام الضخم من الرواسب النفسية والفكرية، والتي تَشكّل، على أساسها، هذا التجمّع العنصري.

لقد تشكّل هذا التجمّع عبر عملية صراع طويلة، ارتبط بها تحقّق اليهودية باستلاب حق الآخرين ومعاناتهم. فالبيت الذي يسكنه اليهودي هو البيت الذي انتزعه من ساكنه الفلسطيني؛ والارض التي يزرعها كانت لفلاح فلسطيني وتمّ اغتصابها منه. ولهذا، فان محاولة الفلسطينيين تحقيق ذاتهم، عبر انتفاضتهم الراهنة، تعني، من وجهة نظر غالبية الجمهور الاسرائيلي، محاولة استرداد المكتسبات السابقة التي حققها الاسرائيلي عبر حروبه المتواصلة، والتي اصبحت جزءاً من تحققه الذاتي. وفي هذا الصدد، أشار الباحث الاسرائيلي، يورام بيري، الى ان الرأي العام الاسرائيلي لم يقتنع، حتى الآن، بعدم شرعية الاحتلال. «فالجمهور الاسرائيلي ينقسم الى الذين يؤيدون ضمّ المناطق [المحتلة]، والى الذين يفضّلون استخدامها ورقة مساومة في مفاوضات السلام. ولكن هؤلاء، واولئك، لا يزالون يعتبرون المكوث في المناطق [المحتلة] عملاً محقاً، وأخلاقياً؛ وتوجد، فقط، نسبة مئوية محدودة، ربما أقل من خمسة بالمئة من السكان الاسرائيليين، تزعم ان مكوثنا، اليوم، في المناطق [المحتلة] غير محق في الأساس»[٢٠].

ولذلك، فان استجابة الشارع الاسرائيلي للانتفاضة كانت سلبية على العموم، ووصلت الى حدّ الدعوة الى الطرد الجماعي للفلسطينيين، والى تشكيل العصابات المسلّحة التي تمارس الارهاب ضد المواطنين الفلسطينيين في الضفة والقطاع.

ولعل أوضح المؤشرات الى انجرار التجمّع الاسرائيلي نحو التطرّف والفاشية تمثّل في نتائج انتخابات الكنيست الثاني عشر، والتي أُجريت في مطلع تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، أي بعد قرابة العام من اندلاع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، حيث وضع الجمهور الاسرائيلي غالبية أوراقه في صناديق الاحزاب التي تنادي باستمرار الاحتلال، أو بطرد الفلسطينيين من وطنهم، الامر